وازاء ما مرّ نسأل: أين الارتباط، وبأي معنى هو؟

وأخيراً، هناك نقطة تتعلّق بشخصية موسى. فالتوراة أوردت: «وامّا الرجل موسى، فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس على وجه الارض» (العدد ١٢:١). بينما أوردت عنه، في مواضع أخرى، انه كان نبيّ السيف[١٩]؛ وأول عمل قام به حينما رأى في نفسه فتى قوياً هو قتله مناظر العمال المصري: «وحدث، في تلك الايام، لمّا كبر موسى انه خرج الى اخوته لينظر في اثقالهم؛ فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من اخوته، فالتفت الى هنا وهناك ورأى ان ليس أحد، فقتل المصري وطمره في الرمل» (الخروج ١١:٢ ـ ١٣).

## عصر يشوع

مات موسى قبل ان يدخل «الأرض الموعودة»[٢٠]. وتولّى ادخال «بني اسرائيل» الى أرض كنعان وصيّه يشوع بن نون، وكان دخولهم وفق خطة تقديمية حبكوها مع راحاب العاهرة[٢١].

وبعد ان انتهت «حروب» يشوع، قسّم الارض على أسباط «بني اسرائيل». لكنه، قبل ان يموت، حذّرهم من عبادة آلهة الكنعانيين، بوصفها آلهة غريبة عنهم: «فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم وأميلوا قلوبكم الى الرب إله اسرائيل» (سفر يشوع ٢٤:٢٣).

ونلاحظ في النص ان الدعوة خلطت النسبي (القومي تجاوزاً) بالمطلق ( الديني)؛ فحتى الآلهة، هنا، تأخذ بعداً «قومياً».

واخبرنا ظفر الاسلام خان، في ما نقله عن غوستاف لوبون، بسبب نجاح يشوع وجماعته في غزوهم بعض أجزاء فلسطين، فكتب:

«ويكمن سبب نجاح العبريين[٢٢] في غزو بعض أجزاء فلسطين في الانقسام العظيم الذي كانت تعاني منه العشائر الكنعانية...

«ان استقرار العبريين تمّ بالتدريج على ما نرى. فالعبريون قضوا زمناً طويلاً ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين، لا ان يكونوا سادتها. والعبريون، اذ كانوا منقسمين كالنعانيين الى عدة عشائر تسمّى أهمها بأبناء يعقوب رمزاً الى الاسباط، لم يتفقوا فيما بينهم حتى على إكمال ' الفتح' . ومضى جميع دور القضاة الذي مجّد دور بطولة العبريين التاريخي في القتال الجزئي بجماعات صغيرة، وذلك بأن تدافع كل جماعة بمشقة عمّا استولت عليه من قطعة أرض»[٢٣].

وبناء على كلام غوستاف لوبون في كتابه «اليهودي في تاريخ الحضارات الأولى»: «لم يكن هناك ' فتح' بالمعنى الصحيح، على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخاً، ومن تعداد الانتصارات، وتقتيل الأهالي، وانهيار أسوار اريحا بالنقر في النواقير، ووقف يوشع للشمس امعاناً في الذبح»[٢٤]. وكما ذكر بيللوك في كتابه «أرض المعركة»: «لقد عيّن يشوع رقعة لقبائل لم تستطع ان تملأها»[٢٥].

والتوراة ذاتها أكدت ان اليهود لم يمتلكوا مساحات شاسعة من الاراضي التي طلب منهم قوّادهم غزوها: «... وقد بقيت أراضٍ للامتلاك كثيرة جداً. وهذه هي الارض الباقية. كل دائرة الفلسطينيين [الفلستينيين] وكل الجشوريين، من الشيحور (الفرع الشرقي من النيل) الذي هو أمام مصر الى تخم عقرون (مدينة الى الجنوب الشرقي من يافا) شمالاً تحسب للكنعانيين، أقطاب الفلسطينيين